

رئاسة الجمهورية
المجلس الأعلى للغة العربية

عرفانا

للساعر الذي تغنى بالثورة الجزائرية



سليمان العيسى

في أربعينية رحيله

المتحف الوطني للمجاهد 2013/9/17

تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية

السيد عبد العزيز بوتفليقة

وإحياء لأربعينية رحيل الشاعر العربي الكبير

سليمان العيسى

طيب الله ثراه

ينظم

المجلس الأعلى للغة العربية

وقفه تقدير وعرقان

لرجل أحب الجزائر..

تغنى بثورتها..

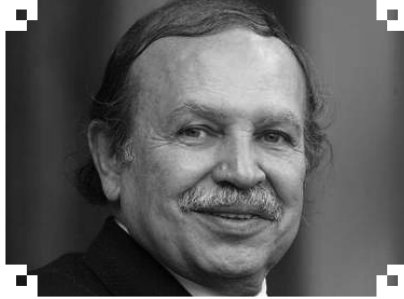
ومجد بطولات شعبها

المتحف الوطني للمجاهد

17 سبتمبر 2013



قال الرئيس عبد العزيز بوتفليقة عن سليمان العيسى :



«..كان بحقّ واحداً من فحول القصيدة العربية المناضلة، وأحد أساطين الإبداع الخالد، فحفر اسمه عميقاً في مخيلة أجيال عديدة. ولأنّه كان ملتزماً بموقف لا يلين، وإيمان لا يتزعزع، فقد استقرّ في وجدان الشعب العربي شاعراً ثائراً من طينة مختلفة تماماً، لأنّه تغنّى بالجرح والمأساة والمعاناة والثورة الجارفة.. وأوقف موهبته للتغني بتضحيات الشعب الجزائري، واستمرّ صوتاً للأوراس منذ الطلقة الأولى حتى يوم النّصر،

فأصدر عددا من الجواميع الشعرية في مقدمها «صلاة لأرض الثورة» التي رفعها عاليا لجبين الثورة..

..إنّ سليمان العيسى، وهو يغادرنا إلى دار الخلود، نفتقد فيه الشاعر الصّلب والصوت الذي ظلّ حاملا آمال أمته وعنفوانها، ومبشّرا بغد مشرق لطفولة مسلوقة الحلم، فكان سلاحه في مجابهة اليأس والإحباط، الكلمة الصادقة والقصيدة التي تنبض بالحبة والوفاء والأمل، لهذا بدأ شاعراً للثورة وأكمل رحلته مؤمناً بقضيته شاعراً للطفولة.

إنّ الجزائر التي حملها سليمان العيسى في قلبه ونقشها في وجدانه، وتغنى بنضالها وأمجادها ستحفظ له اسمه وذكره، وتعلي من قامته في عيون أبنائها، فهو واحد من أولئك الذين التحموا بالثورة الجزائرية فصاروا من أبنائها. العيسى الذي منح الجزائر أعظم ما في اللغة العربية، الشعر الذي لا يموت أبداً..».

سليمان العيسى سيرة شاعر.. مسيرة تائر



وُلد عام 1921 - وتوفي في 9 أغسطس 2013 عن
عمر 92 سنة. تلقى تعليمه وثقافته الأولى على يد
أبيه أحمد العيسى في القرية، فحفظ القرآن والمعلقات
وديون المتنبي وآلاف الأبيات من الشعر العربي. ولم
يكن في القرية مدرسة غير (مدرسة الكُتَّاب) الذي
كان بيت الشاعر الصغير ، والذي كان والده الشيخ
أحمد يسكنه، ويعلم فيه.

بدأ سليمان العيسى كتابة الشعر في التاسعة أو العاشرة فكتب أول ديوان من شعره في القرية، تحدث فيه عن هموم الفلاحين وبؤسهم.

دخل المدرسة الابتدائية في مدينة أنطاكية - وضعه المدير في الصف الرابع مباشرة - وكانت ثورة اللواء العربية قد اشتعلت عندما أحس عرب اللواء بمؤامرة فصله عن سورية.

شارك بقصائده في المظاهرات والنضال القومي الذي خاضه أبناء اللواء ضد الانتداب الفرنسي على سوريا وهو في الصف الخامس والسادس الابتدائي. دخل السجن أكثر من مرة بسبب قصائده ومواقفه القومية.

درّس في دار المعلمين ببغداد، عمل مدرساً في مدارس حلب وموجهاً أول للغة العربية في وزارة التربية السورية. وهو عضو جمعية شعر التي أسسها أدونيس ويوسف الخال. انتسب مبكراً لحزب البعث وكتب مجموعة من الأشعار العروبية.

له ديوان ضخيم مطبوع تغلب فيه أناشيد الأطفال.

يقيم في اليمن منذ عدة سنوات، وقد كُرم بالعديد من الجوائز والاحتفاليات.

كان من مؤسسي اتحاد الكتاب العرب في سورية عام 1969 م.

متزوج. له ثلاثة أولاد: معن، وغيلان، وبادية. يحسن الفرنسية والإنكليزية إلى جانب لغته العربية، ويلم بالتركية.

زار معظم أقطار الوطن العربي وعدداً من البلدان الأجنبية.

اتجه إلى كتابة شعر الأطفال بعد نكسة عام 1967 م.

شارك مع زوجته الدكتورة ملكة أبيض في ترجمة عدد من الآثار الأدبية، أهمها آثار الكتاب الجزائريين الذين كتبوا بالفرنسية .

شارك مع زوجته وعدد من زملائه في ترجمة قصص ومسرحيات من روائع الأدب العالمي للأطفال.

وفي عام 1990 م انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق.

في عام 2000 م حصل على جائزة الإبداع الشعري، مؤسسة البابطين.
اعتمد سليمان على أبعاد تربوية في أشعاره التي كتبها للأطفال والشباب، متأثراً بخلفيته السياسية.
من تلك القصائد:

- مع الفجر - شعر - حلب 1952.
- شاعر بين الجدران - شعر - بيروت 1954.
- أعاصير في السلاسل - شعر - حلب 1954.
- صلاة لأرض الثورة (عن الثورة الجزائرية)
ثائر من غفار - شعر - بيروت 1955.
- رمال عطشى - شعر - بيروت 1957.
- قصائد عربية - شعر - بيروت 1959.
- الدم والنجوم الخضر - شعر - بيروت 1960.
- أمواج بلا شاطئ - شعر - بيروت 1961.
- رسائل مؤرقة - شعر - بيروت 1962.
- أزهار الضياع - شعر - بيروت 1963.
- كلمات مقاتلة - شعر - بيروت 1986.

- أغنيات صغيرة - شعر - بيروت 1967.
- أغنية في جزيرة السندباد - شعر - بغداد وزارة الإعلام 1971.
- أغان بريشة البرق - شعر - دمشق وزارة الثقافة - 1971.
- ابن الأيهم - الإزار الجريح - مسرحية شعرية - دمشق 1977.
- الفارس الضائع (أبو محجن الثقفي) - مسرحية شعرية - بيروت 1969.
- إنسان - مسرحية شعرية - دمشق 1969.
- ميسون وقصائد أخرى - مسرحية وقصائد - دمشق 1973.
- ديوان الأطفال - شعر للأطفال - دمشق 1969.
- المستقبل - مسرحية شعرية للأطفال - دمشق 1969.
- النهر - مسرحية شعرية للأطفال - دمشق 1969.
- مسرحيات غنائية للأطفال - دمشق 1969.
- أناشيد للصغار - دمشق 1970.
- الصيف والطلائع - شعر للأطفال - وزارة الثقافة - دمشق 1970.
- القطار الأخضر - مسلسل شعري للأطفال - بغداد 1976.

- غنوا أيها الصغار شعر للأطفال- اتحاد الكتاب
العرب - دمشق 1977.
- المتني والأطفال - مسلسل شعري للأطفال-
دمشق 1978.
- الديوان الضاحك - شعر للتسلية- بيروت 1979.
- غنوا يا أطفال (مجموعة كاملة من عشرة أجزاء
تضم كل الأناشيد التي كتبها الشاعر للأطفال)-
بيروت 1979.
- دفتر النشر - دراسة- دمشق 1981.
- الكتابة أرق - شعر- دمشق 1982.
- الفراشة -دمشق 1984.
- باقة النشر -دمشق 1984.
- إني أوصل الأرق -دمشق 1984.
- الديوان الضاحك 1987
- وسافرت في الغيمة 1988
- نشيد الحجارة. مجموعة قصائد. دمشق: دار
طلاس، 1988.
- كلمات للألم

أغاني الحكايات
ثمالات 1 و 2 تيؤصق
أحلام شجرة التوت
فتى غفار



هذا ما قاله لي سليمان العيسى..

بقلم : عزالدين ميهوبي



عندما وصل شاعر الهند العظيم رابندرانات طاغور روما اصطف على قارعة الطريق أكثر من ثلاثين ألف إيطاليّ يَحْيُونَهُ، مرحّبين به، إكبارا للشعر. وعندما عادت أبوللو 11 من رحلتها إلى القمر في العام 1969، سُئِلَ رائد الفضاء الأمريكي نيل أرمسترونغ عمّا شاهدته، فسحب من جيبه ورقة، وقرأ قصيدة شعريّة.. ولم يكن شاعرًا. وعندما جاء

الرئيس المالطي دوم مينتوف معزياً الشعب الجزائري في وفاة الرئيس هواري بومدين أخرج من جيب سترته قصيدة شعرية هي بمثابة تعزية في رحيل رجل عظيم.. وكان شاعر روسيا الكبير يفغيني إيفتوشينكو ساحراً في إلقاء شعره، حتى أنّ الجمهور يحجز مكانه شهراً قبل موعد اللقاء الشعري في كبرى القاعات.. هكذا يكون الشعر والشعراء. ومثلهم كثيرون.. وبينهم سليمان العيسى، هذا الشاعر الذي غنى للثورة فكان كبيراً، وأنشد للأطفال روائعه.. فازداد شوخاً.

كان يدقّ أبواب التسعين بروح الشاب الذي لم تأخذ منه السنون شيئاً من حيوية الشاعر الذي بلغ سقف الإبداع مع ثورة الجزائر وانتصارها التاريخي.. وارتقى بالطفولة عاليًا، لأنّه آمن بأنّ الثورات عندما تنصر تنهي حلمًا في عيون الأطفال.. فأغلق أبواب الشعر السياسي بكلّ المفاتيح.. وابتعد عن موطنه ليستقر في أرض سبأ مع زوجته المبدعة الوفيّة ملكة أبيض، مترجمة روائع مالك حدّاد..

كُلفت في العام 2004 بدعوته في الذكرى

الخمسین للشورة الجزائرية لتكريمه، وجاء يتوكأ على
عكاز لعيون الجزائر التي أحبّ.. وحين نودي عليه
ليوشح بوسام «صديق الثورة الجزائرية»، وقف مطوّلاً
على المنبر، ونظر في جمهور قاعة قصر الثقافة، ثم
قرأ خمسة أو ستة أبيات ما زلت أحتفظ بها بخط
يده.. لكنني رأيتُ مسحة حزن في عينيه الزرقاوين،
ولم يقل لي حينها أيّ شيء، ولكن قبل أن يرحل
عائداً إلى صنعاء قال لي «يا عز الدين.. الجزائر تعش
في ميدان أينما حللت وارتحلت. أنا لست صديقاً
للشورة الجزائرية.. أنا ابنها» وابتسم الشاعر الذي غنى
طويلاً لشورة الجزائر وشعبها المكافح.

التقيت به أول مرة على صفحات الكتب
المدرسية كأبي واحد من أبناء الجزائر الذين ما زالوا
يرددون أشعاره الجميلة ويتغنون بها. تلك الأشعار
التي كانت تنبض بالوطنية الدافئة والالتحام الصادق
بشورة الجزائر المجيدة..

سليمان العيسى الشاعر الذي نازعنا في حب
الجزائر فنازعناه في حب شعره وتقاسمنا معه رغيفاً

عجنته أيدي ملايين الشهداء روت دماؤهم كل شبر
من أرضنا العربية المكابرة دائماً، وأوقد في نفوس
أجيال من الشباب العربي جذوة الثورة من ميسلون
إلى أوراس إلى صنعاء إلى ظفار إلى كل بيت لم يحن
رأسه للغزاة القادمين من بعيد.. التقيت به شاعرا
فاكتشفت عظمة الشعر وجلال الكلمة وهياً لي
فضاءات كنت بحاجة إليها وأنا الشاعر المبتدئ..
فرحت أعبّ قصائده وغنائياته الثورية عبا وأشعر
في كل مرة أنني أقترّب منه وهو في الشام.. وظلت
هواجس اللقاء به تستفزني باستمرار إلي أن كان اللقاء
ذات صيف من عام 2000 بفندق «إبلا الشام»
بدمشق حيث تجمعت وفود الأدباء والشعراء العرب
لحضور فعالية «سعدي الشيرازي» بطهران التي أقامتها
مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع
الشعري.. اقتربت منه وسلمت عليه وقدمت نفسي
له فاحتضني بشوق كبير وهو يقول «أهلاً بالجزائر..
أهلاً بالأوراس.. أهلاً بالأبطال» وجلسنا نشرب
الشاي.. ثم قال لي «أحبّكم بزّاف أيها الأمازيغ»..

وسألني ما معنى بزّاف وما معنى الأمازيغ، فحاولت أن أقدم له شرحًا للكلمتين، لكنّه قال لي «معنى كلمة بزّاف هي بالجزاف ومعناها الكثير.. أما الأمازيغ، فمشتقّة من الأمازر ومعناها الرجال الشجعان...».

حدثني كثيرا عن علاقته بالثورة الجزائرية التي ما زالت تكبر في وجدانه وتتأصل في روحه وتتجذر في كيانه كلما ابتعدت زمنيًا.. وراح يروي لي بالتفاصيل الدقيقة لحظة الكتابة عن الجزائر، وكيف كانت تصله أخبارها وتمنيت ساعتئذ لو أنني دونت تلك اللحظات المفعمة بحب الجزائر والاعتزاز بشعبها والانتصار لثورتها والصدق الكبير في تخليد تلك البطولات النادرة.. ظل سليمان يحدثني بحب كبير.. وشعرت في لحظة ما أنه يوّد أن يقول شيئًا لكنه يتمنع عن فعل ذلك.. ففهمت الأمر وقلت له «ربما لم نعط ما كتب الشاعر الكبير سليمان العيسى عن الثورة الجزائرية حقه.. ونحن لا ننكر ذلك.. فديوانكم عن الثورة الجزائرية صدر في طبعة رديئة لا ترتقي إلى تلك القصائد الخالدة!» فابتسم وقال «أمنيّتي أن أرى أبناء

الجزائر يحتفظون بهذه الأشعار لأنني لم أكتبها لنفسي بل كتبها لهم وللتاريخ!.. وقلت له «إنّ ما تتمناه حق لك وواجب علينا وأمانة في أعناق الرجال..». قال لي «لقد أحببت الأطفال مثلما أحببت الجزائر.. وبحوزتي سيرتي أرويهما شعرا للأطفال كتبها بالعربية وترجمتها إلى اللغة الفرنسية زوجتي الدكتورة ملكة أبيض التي لها علاقة حب بأدباء الجزائر حيث ترجمت أعمالا كثيرة لمالك حداد وكتاب ياسين..» واتفقنا على أن يحضر نسخة من كتابه للأطفال «أحكي لكم طفولتي يا صغار!» في دورة أبي فراس الحمداني التي احتضنتها الجزائر في نوفمبر 2000 حين كرمته مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري. أهدي اتحاد الكتاب الجزائريين هذا العمل الجميل للأطفال متنازلا عن كل حقوقه لأطفال الجزائر.. وبادرتُ حينذاك بطبع الديوان كما أراد تقديرًا له شاعرًا متفردًا، واعتزازًا بمواقفه الوطنية والانسانية، والتزامه الثابت مع ثورة نوفمبر الخالدة، وإكبارا لحبه المتواصل للأطفال الذين منحهم أجمل

الأشعار وأحلى الأغاني، وأمام رحيله في هذا الزمن
الصعب لا نملك إلا أن ندعو له بالرحمة، وأتمنى أن
يطلق اسمه على مدرسة أو مرفق ثقافي، فالرجل أعطى
للجزائر ربّما أكثر من بعض بنيتها...



سليمان العيسى رفقة رفيقة دربه
الدكتورة ملكة أبيض

مرثية إلى سليمان العيسى شاعر الثورة الجزائرية

بقلم: د.عثمان سعدي

غادرنا إلى اليوم الآخر يوم الجمعة 9 أغسطس 2013، سليمان العيسى الشاعر السوري الكبير، عن عمر 92 سنة قضاها في النضال بشعره. ويعتبر عن جدارة شاعر الثورة الجزائرية، فقد حمل 109 صفحة من كتابي «الثورة الجزائرية في الشعر السوري»، غنى الثورة بدواوين من الشعر بلغ عدد قصائدها 37 قصيدة، عبّر من خلالها عن أحداث الثورة، واستمر حتى بعد استقلال الجزائر يتغنى بها ويإنجازاتها، وكما يقول «كثورة عربية فريدة عمّقت اعتزاز العربي بأمته، وجعلته يلجأ إلى أحداثها يستمد منها الثقة والأمل في أشد الفترات ظلمة من التاريخ العربي الحديث». أول قصيدة له عنوانها «ميلاد شعب» ألقاها في مهرجان خطابي كبير بدمشق في -يوليو 1955 يقول فيها:

في عروقي أنتِ في آهاتنا في كل خاطرٍ
 يا دويّ الصيحة الحمراء في قلب الجزائر
 لا تعاتبيني . . . تمنيت لو أني جرح نائرٍ
 ويستشهد البطل يوسف زيغود فينشد سليمان
 في نفس الشهر لوفاته سبتمبر 1956 قصيدة عنوانها
 «يوسف زيغود» من أروع ما قيل، يبدأها فيقول:
 صَمْتُ على الوادي، يروع الوادي
 وسحابةً من لوعةٍ وحدادٍ
 أرسى على الهضابِ ريشُ نسورها
 وتمزقت من بعد طولِ جِلاذٍ
 غداً الوميضُ . . . فلا أنينُ شظيةٍ
 يُصمّي، ولا تكبيرةُ استشهادٍ
 الصامد المقدودُ من لهبِ
 الفارس العربيِّ
 عرفته أرض المجد حدّادا
 في ركن حانوتٍ
 يحيى على الخشنيينِ من ثوبٍ ومن قوتٍ
 وفي ختام القصيدة، يخاطب الشاعر سفح الجبل

الذي استشهد فيه البطل الذي يعتبره منحدرًا من
أبطال الإسلام بالمغرب العربي: موسى بن نصير،
وعقبة بن نافع، وطارق بن زياد، فيقول:

يا سَفْحَ يوسُفَ، يا خضيبَ كمينه

يا روعةَ الأجداد في الأحفادِ

يا إرثَ موسى في النسورِ وعُقبَةَ

والبحرِ حولكَ زورقَ بن زيادِ

يا شَمْخَةَ التاريخ في أوراسنا

يا نبع ملحمتي بثغر الوادي

أتموتُ؟ تاريخ الرجولة فريّة

ميلاد شعب رائع ميلادي. . .

ويغني سليمان جميلة بوحيرد فيقول في قصيدة

عنها:

وأنتِ يا أسطورة الصحراء، يا نداءً

ما زال في قلوبنا يُفجّر الضياء

يا نجمة الصبح التي يَمَمّت الصبح

منذ اختفت في ظلمة السجون

ويزور الشاعر الجزائرَ بعد هزيمة يونيو 1967،

ويقف أمام تمثال الأمير عبد القادر ويعلن أنه يستمد
هويته العربية من حافر حصان الأمير فيقول:

يا فارس الساحة الحمراء، يا فرساً
يجوب روعي، يهز القيد في حرْد
أريد حافرك الغضبان يمنحني
هويتي، كدت أنساها إلى الأبد
وفي قصيدة أخرى يعبر فيها عن ألم الهزيمة، ويرى
في الجزائر عزَّ العرب وانتصاراتهم فيقول:

حملتُ أجنحةَ الأطفالِ ملءَ يدي
وجئتُ أبحثُ يا أوراسُ عن جسدي
أُبِيحُ وجهي فخيلاً الغزو عابرةً
كما تشاء على بدرٍ على أحدِ
جزائرِ الدّمِ والمليونُ شاهدةٌ
على طريق الضحى والكبرِ والصّيدِ
هاتي يدكِ فلو صافحتني هتفتُ
قصيدةُ الله في قيثارِي العَرْدِ

ويزور مالك حداد سنة 1956 دمشق ويلقي
محاضرة بالفرنسية، وعيناه تنهمر بالدموع لأنه لا يعرف

العربية، قائلاً «أنا المنفي في اللغة الفرنسية»، ويكي معه سليمان والحاضرون. وينظم سليمان العيسى عنه ديواناً، ويشير إلى ما قاله مالك للشاعر الفرنسي أراغون «لو كنت أعرف الغناء لتكلمت العربية». وفي قصيدة لسليمان عنوانها «سأكتب عنك» يخاطب مالك فيقول:

سأكتب عنك بالجمر
سأكتب عنك بالعربية العطشى إلى الثَّارِ
بحرف من شواظِ العنف
قَدَسَ وَقَدَةَ الشَّرِّ
أتعرف وقدة الشَّرِّ؟
هي اللهب الذي سيُطَهِّرُ الدنيا
هي الثورة
سأكتب عنك يا مالك
سأعجن بالحروف الخضر كل عِطاشِ آمالك
سأكتب عنك أنشودة
ترنّ بأحرف القرآن، بالأوراس مشدوده
ويشرب وهجها العَرَبُ

بلى يا شاعري،
سأكتب عنك بالعربية الحرّة
وفي الختام يوجه الجزائريون تعازيهم العميقة لزوجّة
المرحوم ملكة أبيض وابنه معن.

سليمان العيسى الشاعر، الرؤيا والرؤية

بقلم: محمد بن زيان (الجزائر)

قراءة مسار سليمان العيسى هي قراءة لمسار فكرة وطرح وتحولات تتابعت في المنطقة العربية منذ زمن سايكس بيكو.. قراءة العيسى هي قراءة لمدونة من مدونات المنجز الشعري العربي بمختلف اتجاهاته وتشكلاته، وكان للعيسى مساره المرتبط بسيرة وتشكله، مسار شاعر مسكون بالهاجس الجمعي القطري والقومي والإنساني..

في الذكرى الخامسة لرحيل محمود درويش رحل عن ديانا شاعر عاصر تحولات وعاش نحو القرن، رحل سليمان العيسى الذي بدأ حياته بضياح مسقط رأسه الذي سلخ من سوريا وألحق بتركيا وكانت خاتمة مشواره مع الوضع المفجع الذي تعيشه سوريا. وظل العيسى مشدودا إلى طفولة طبعها عملية

سلخ، تحولت إلى جرح ينزف كلمات شعرية تعيد
صياغة التاريخ، كلمات تجرح الجرح، وآخر كتاب
للمرحوم كان عن قريته: «النُعيرية قريتي».
رحل سليمان في أجواء عيد فقد النكهة، وصار
لسان الحال يردد لازمة المتنبي: «بأي حال عدت يا
عيد».

الشاعر والقضية

سليمان كان من بدايته شاعر قضية، قضية
الإنسان وقضية الانتماء.. بدأ الشعر بالكتابة عن
الفلاحين وما يعانونه..

يقول الشاعر سليمان عيسى:

«أقاتل بالشعر منذ كتبت أول قصيدة لي تحت
شجرة التوت التي تظلل باحة بيتنا في قريتي الصغيرة
(النُعيرية) في لواء الاسكندرونة».

الشعر بالنسبة للعيسى انوجد وانبعث ورتق ما
يفتقه السلخ والبت.. الشعر حياة، تكثيف للحياة
بنحت المفردة التي تتغذى من الواقع وتمتد لتغذيه بما

يرتفع به عن الارتهان لعابر يمارس المحو، فيصير الشعر
محو مضادا، يكتب الذي يبقى النبضات.
ومن طفولته سكنه الهاجس القومي وكثف الشحن
سلخ مسقط رأسه فكانت العروبة حاضرة كمقوم من
مقومات سيرورته وصيرورته.

واندمج في بوتقة النضال ضد الانتداب الفرنسي
وتشبع بالتوجه القومي فحمله طيلة حياته ودفع
الضريبة بتعرضه للسجن.

كانت سوريا مهدا للفكر القومي، كانت موطننا
حاضنا لحركات ودعوات تنوعت من الكواكي إلى
زكي الأرسوزي وميشال عفلق، وكان العيسى يحضر
رفقة زملائه لاجتماعات «نادي العروبة» التي كان
يشرف عليها الأرسوزي مع رفاقه في سياق مواجهة
سلطات الانتداب الفرنسي.. وتنقل العيسى إلى
بغداد لمواصلة الدراسة وكانت العراق بدورها تغلي
سياسيا وتعرف تحولات حاسمة في الاتجاهات الشعرية
خاصة مع رواد التشكيل الشعري المتجاوز لهيمنة
النسقية العمودية.

رغم الظرف بصراعاته ومعاناته، كان الحلم كبيراً، كانت القضية تسكن الذات فتؤجج الشعلة البرومثيوسية، يقول العيسى:
« كنا نحلم.. أنا سوف نهزُّ الشمس، فتسقطُ في أرض الفقراء، بيادر من قمح وغلّال».

كان العيسى فاعلاً سياسياً فهو من مؤسسي حزب البعث في السابع أبريل 1947 في مقهى الرشيد الصيفي بدمشق، وكان دينامو جريدة الحزب الأسبوعية «البعث» كان يكتب كل صفحاتها، وبسبب مواقفه ونضاله ضد الانتداب كان من أوائل البعثيين الذين تعرضوا للسجن بعد تظاهرات ضد سلطة الانتداب. يستعيد العيسى ماضيه، معتزاً به فهو رأسماله وقاعدة تشكّله يقول: «أعتزُّ بشيءٍ واحد، هو أحلامي التي كانت وراء كل كلمةٍ قلتها في حياتي، ولا أرى لحياتي معنى من دون حلم، ومنذ أن رفعتني المناضل زكي الأرسوزي بيديه ووضعني على منبر (نادي العروبة) في أنطاكية لألقي أولى قصائدي في جمهورٍ حاشد؛ إبان انتفاضة اللواء، وأنا تلميذٌ في المدرسة الابتدائية، إلى

آخر كتاب شعري وضعته (النُعيرية قريتي) أشعر أن ربة الشعر واحدة في حنجرتي، يخفثُ صوتها ويقوى، ينكسر ويشتدُّ، يصمْتُ حيناً ويعاود الغناء، ولكن الكلمة هي الكلمة، والغناء هو الغناء، والنسخ الذي جرى يوماً في العروق لا يزال يجري، فمن طبيعة الشجرة أن تعيش بنسغها، فهي لا تستطيع له تغييراً، ولو غيّرته لزوّرت حياتها كلها».

لقد شكل الحلم دوما الحياة، وكانت اليوتيبيا أقوى من الفناء.. الحلم منح للحياة المعنى وأمدت الرؤيا المبدع بالرؤية، الرؤية المتشكلة بامتحانات المسار. ولقد ظل الجدل محتدماً حول علاقة الإبداع بالواقع وبالسياسة، واحتكم البعض لكليشيهات نمطية عندما يتحدثون عن شاعر كالعيسى ووضعاً للنقاط على الحروف قال شاعرنا:

« لم تكن في حياتي سياسة في يومٍ من الأيام، هذه الكلمة أراها ضد الشعر في امتياز، فأنا طفلٌ مشرد من لواء اسكندرون، رأى نفسه ذات يوم يُقتلع من تحت شجرة التوت التي تظلّل باحة داره، ويُلقي

في أحضان الغربية، بعد اقتطاع بلده الصغير، مسقط رأسه، ومنذ ذلك الحين فتحت عينيّ على حلمٍ عربي كان محور حياتي وشعري، ومازلتُ مصرّاً على هذا الحلم الذي تدور حياتي وشعري حوله، فهل يمكن أن تدخل هذه الكلمة المراوغة (السياسة) في مثل هذا المجال؟».

وبخصوص لعبة التصنيفات وخصوصاً تداول وصف ملتزم قال الشاعرالمرحوم:
«لا أحب كلمة ملتزم، ولا كلمة التزام، لأنني أرى التعبير مصطنعاً مهماً أجيدت صياغته، كانت الجماهير العربية ومازالت قصيدي الأولى أعطني أكثر ما أعطيتها، فمهمة الكلمة أن تتحول إلى طاقةٍ وفعل، فالكلمة ليست مجرد شكل لفظي، يتألف من حروف وإيقاعات صوتية، إنها جزء لا يتجزأ من وجودنا، من حقيقتنا، من سلوكنا اليومي، فإذا لم تحمل رصيذاً من هذه الحقيقة، ظلت شيئاً يدور في الفراغ، ولا يترك أي أثر، فالكلمة هي الإنسان».

وقراءة مسار سليمان العيسى هي قراءة لمسار
فكرة وطرح وتحولات تتابعت في المنطقة العربية منذ
زمن سايكس بيكو.

قراءة العيسى هي قراءة لمدونة من مدونات
المنجز الشعري العربي بمختلف اتجاهاته وتشكلاته،
وكان للعيسى مساره المرتبط بسيرورة تشكله، مسار
شاعر مسكون بالهاجس الجمعي القطري والقومي
والإنساني.

سليمان العيسى والجزائر

حضرت الجزائر في مسار العيسى، حملها في
أشعاره التي تفاعل فيها مع الثورة الجزائرية وكتب عن
أحداثها ورموزها..

قال يوم استشهد البطل زيغود يوسف:

«صمت على الوادي يروّع الوادي

وسحابة من لوعة وحداد

أرسي على الهضبات ريش نسورها

وتمزقت من بعد طول جلاد

هدأ الوميض.. فلا أنين شظية
يُصمى، ولا تكبيرة استشهاد“
ويختتم هذه القصيدة الجميلة الرائعة قائلا:
”يا سفح يوسف يا خضيب كمينه
يا روعة الأجداد في الأحفاد
يا إرث موسى في النسور وعقبة
والبحر حولك زورق ابن زياد
يا شمخة التاريخ في أوراسنا
يا نبع ملحمة بثغر الحادي
أتموت؟ تاريخ الرجولة فرية
كبرى إذن، ووضاعة الأمجاد
أتموت كل حنية بجزائري
ميلاد شعب رائع ميلادي“

ويعتبر العيسى من أكثر الشعراء العرب الذين
حضرت الجزائر في نصوصهم، حضورا استمر معه في
مسيرته وقاده ما يحمله عن الجزائر إلى الاهتمام بأدبها
فترجم مع زوجته الدكتورة ملكة أبيض بعض أعمال
كتابنا بالفرنسية.

إننا كجزائريين من الجدير بنا إذا ما أردنا فعلا
المصالحة مع ذاكرتنا وتاريخنا استحضار كل من وقفوا
معنا وانصهروا في بوتقة واحدة معنا من أجل حررتنا
وخدمة لثقافتنا. ولعل هذا ما عبر عنه بعض أدبائنا
كالشاعر بوزيد حرز الله في التعليقات الأولى بعد
ورود خبر رحيله.

العيسى وأدب الطفل

قال شاعرنا:

«اذكروا أنني كالأطفال غنيثٌ، وطاردتُ الفراشات
طويلاً.. تسلفتُ الشجر.. وقطفُ التين والمان من
بساتين جدي والقمر».

بعد هزيمة جوان التفت الشاعر سليمان عيسى
إلى الأطفال فخصص جهده الإبداعي لهم، تخصيصاً
يحمل دلالات التمسك بغد آخر ينسخ ما توالى من
فجائع وخيبات في منحنيات الزمن العربي.

وفي التفاته إلى الأطفال، كان ينشد صبح يتنفس
ويبدد. يقول:

«وأنا لن أقطع خيط الأمل، وعندما تمر كارثة من الكوارث مثل كارثة 1967، كنت أحس أن الدنيا (طريقت) فوق رأسي وبدأت أحتنق. ورأساً بدأت أدق الجدران السود حولي، وفتحت نافذة اسمها «الكتابة للأطفال». ماذا يعني الأطفال؟.. يعني المستقبل. الحقيقة أنني لم أكتب للأطفال إلا من أجل أن أفتح للأطفال نوافذ أعبر بواسطتها عن الهم الذي حملته دائماً وعبرت عنه، وقاتلت من أجله. الكتابة للأطفال كانت بالنسبة لي الهروب إلى المستقبل، نوعاً من التشبث بالمستقبل، التشبث بالحلم نفسه الذي حملته».

وأضاف في تصريح آخر تفصيل ذلك بقوله:
«لأنهم فرح الحياة ومجدها الحقيقي، لأنهم المستقبل، لأنهم الشباب الذي سيملاً الساحة غداً أو بعد غد، لأنهم امتدادي وامتدادك في هذه الأرض، لأنهم النبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتعود إليها دورتها الدموية التي تعطلت ألف عام، وعروبته التي جفت ألف عام.. إنني أكتب للصغار لأسليهم، ربّما كانت أي لعبة أو كرة أجدي وأنفع في هذا المجال،

إنني أنقل إليهم تجرّبي القومية، تجرّبي الإنسانية،
تجرّبي النفسية... أنقل إليهم همومي وأحلامي».
والعيسى من الأدباء الذين أثروا رصيد أدب الطفل
بأعمال حملت رسالة مصاغة بما يتلاءم مع المدارك
العقلية للأطفال.

في قصيدة «نشيد الوحدة» يقول:

«طيروا في أرض العرب

لا تعترفوا بالأسوار

رباني أمي وأبي

للحرية، والإصرار

طرنا مثل العصفورة

نحن ملايين الأولاد

حررنا الأرض المقهورة

وحدنا وطن الأجداد».

ويمكن أن نلخص الحديث عن شاعرنا بمفردتين
هما الرؤيا والرؤية... رؤيا بحلم لم يتبدد رغم تراكم
الانكسارات، ورؤية نضجت في خضم ما شهدته قرن
من التحولات الإقليمية. رحم الله شاعرنا الكبير.



سليمان العيسى الشاعر الذي آمن بالأوراس والثورة..

بقلم: إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم (الجزائر)

لقد درج العربي على العودة إلى الشعر ليتّخذه مطية أمينة تنقل أحاسيسه، وتشغل تفكيره، وقد حقّق الشعر نقلة نوعية في تاريخ الأمم، واستطاع في مدّة وجيزة أن يكون أكثر الفنون اعتمادا، وأبرزها مقصدا، ولم يتوان العربي في قول الشعر متى سنحت له الفرصة، فأصبح امتدادا للذاكرة، ولم يقتصر على القدماء فقط، بل صار لكلّ عصر ممثّله، ولكلّ حادثة أهلها، فإذا عدنا بالتاريخ إلى الأمس القريب، حين كانت الجزائر في ابتلاء طاعون الاستعمار في خمسينيات القرن المنصرم، في محتها أمام احتلال فرنسا العاشم، ألفينا كثيرا من الشعراء جنّدوا ألسنتهم دفاعا عن الأوطان، وطوّعوا أقلامهم تضحية في سبيل استرداد الحرية، ونيل الاستقلال،

ولم يقتصر الأمر على شعراء وأبناء الأمة المحتلة فقط، بل تجاوز الوعي إلى خارج الحدود الجغرافية الواحدة، كما امتدت يد المسؤولية إلى أوطان أخرى، رأت القضية قضية الجميع، وأن المصير واحد، بحكم أنّ التاريخ واحد، والعرق نفسه، ودواعي الأخوة أوجب، ولعلّ من الشعراء العرب الذين وهبوا أنفسهم لتحرير الشعوب ما سنّه الشاعر السوري سليمان العيسى من شعر في الثورة الجزائرية.

فالشعر أداة فعالة من أدوات المقاومة التي تستخدمها الشعوب ضد أعدائها في عصر من العصور، «فببيت من الشعر بُعثت أمة من مرقدتها فاقتحمت غمار الحروب، فاستردّت مجدها، وأحيته بعد الاندثار...». ثمّ إن المنظور الذي يطرحه شعراء الثورة الجزائرية هو نابع من تصورهم للدور الذي يجب أن يؤدّيه الشعر الثوري، ووظيفة هذا الشعر، ف«الثورة في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نعمة تتغنّى بها»، فالشعر يعبر عن مأساة الشعوب أصدق تعبير، وهو سلاح لتحطيم القيود وتغيير الواقع. كما أن الشعر

ديوان العرب وسجّل حياتهم، والشعراء هم أصحاب الرأي و التعبير على مرّ العصور، وقد أجمع دارسوا الأدب العربي أن الشّعر يمثل جوهر الثقافة العربيّة، فالشاعر شاهد على عصره، ولكل ثورة أو حركة تحرير شعراؤها الذين يمثلون ضمير شعبها، ويصوِّرون ما يخالج صدر هذا الشعب.

أولاً: الشعر السوري عن الثورة الجزائرية:

الشاعر المعوّل على دراسته في هذه الصفحات هو سليمان العيسى، ولئن كان مفدي زكريا فو شاعر الثورة داخل الجزائر دون منازع، فإنّ شاعرنا أهل أن يلقب شاعر الثورة الجزائرية من خارج الجزائر، كيف لا وهو الذي نظم ما يفوق سبعا وثلاثين قصيدة، نظّمها الشاعر عن الثورة الجزائرية، وتجسد هذا الاهتمام في إيمانه القوي بالكفاح كطريق للتحرر، وثقته الكاملة في انتصار الثورة مهما تكن التضحيات جسيمة، إضافة إلى منظوره الذي يعبر عن أصالة الشعب الجزائري لغة ودينا وتاريخا.

لقد اجتمعت للشاعر أسباب القول والكتابة ،
فقد فتح عينيه على الشعر، بعد أن أكمل حفظ
القرآن الكريم في وقت مبكر من حياته، كما ساعده
حفظ الشعر العربي وبعض كتب اللغة والأدب على
النظم، وكان نتيجة لذلك أن أخرج للعالم إنتاجا شعريا
غزيرا تمثل في سبعة مجلّدات، أبرزها تلك المجموعة
الكاملة لأعماله، ومجموعة «شعراؤنا يقدّمون أنفسهم
للأطفال»، و «الديوان الضاحك»، كما كانت له
بعض المسرحيات منها: الفارس الضائع، وميسون،
ويبدو على الشاعر اهتمامه الجلي بالطفولة، حيث
كانت له جملة من الأعمال خصّصت للأطفال من
شعر وكتابة ومسرحيات. يقول في إحدى أبياته عن
الطفولة.

تشرّدت طفلا ولن أرتضي

مصيري لطفلي غدا يُقسم

ولا يخفى على القارئ أنّ سليمان العيسى على
رأس جملة من الشعراء العرب الذين مجدّوا ثورة الجزائر،
إذ له سبع وثلاثون قصيدة، نظمها عن أوّل تشرين

الثاني (نوفمبر)، وعبر من خلالها عن أحداث الثورة، واستمرّ إلى ما بعد الاستقلال متغنياً بها وبإنجازاتها، مؤمناً بها ثورة عربية فريدة، عمّقت اعتزاز العربي بأمتّه، وجعلته يلجأ إلى أحداثها مستمدّاً منها الثقة والأمل، في أحلك الفترات، وأشدّها عسراً. وهنا يجدر بنا أن نشير إلى جهود الأستاذ عثمان سعدي الذي لم يأل جهداً، ولم يدخر فضلاً في إنتاج أدبي ضخم، ممثلاً في جمعه للشعر السوري عن الثورة الجزائري، ناهيك عن جمعه للشعر العراقي عن الثورة، أيام سفارته للجزائر في سوريا، حيث تقدّم بعمله هذا فنال به درجة دكتوراه الدولة، وقد كانت حصيداً عمل الميّداني جمعه لمائة وثمان وتسعين (198) قصيدة، أنشدها أربعة وستون (64) شاعراً وشاعرة، ينتمون إلى إحدى وعشرين (21) مدينة وقرية سورية، لقد ضمّت هذه المجموعة أسماء لامعة في ساحة الشعر العربي من أمثال: سليمان العيسى، ونزار قباني، ومحمد الحريري. ومن خصائص الشعر السوري عن الثورة الجزائرية تناوله لظلم فرنسا ولفظائها بمنطق الجرب لهذا

الظلم، المعاني من هذه الفظائع، فالشعراء العراقيون مثلاً تحدّثوا عن هذه الجرائم الفرنسية، دون أن يستعملوا عبارة (نحن أدرى بها) التي استعملها نظراً وهم السوريون، ومن خير الشعراء تمجيداً لثورتنا الشاعر خير الدين الزركلي، الذي عاصر الانتداب الفرنسي، وله قصيدة في الجزائر، كما أنّ له قصائد عن الثورات السورية، فقد نظم في (فرنسا العشرينات) بسورية، وفي (فرنسا الخمسينات) بالجزائر، فجاء شعره أكفأ شعر في تمثيل خاصية البعد الشامي في الهجوم على الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ففي قصيدته [بشير النصر] عن الجزائر يذكر استعمال الطائرات والدبابات الفرنسية للتدمير والبطش، يقول:

يصبّ النار من أفق قريب

ويزحف بالدبابات من بعيد

كما يقدّم لنا سليمان العيسى فظائع فرنسا بالجزائر في صورة موفّقة، تجمع بين أكّداس جثث الأطفال والشيوخ، وتمزيق العذارى بالحراب، وحرق

القرى على رؤوس سكاكها، يقول:
جثث تنهال، أطفال على أشلاء شيب
وعذارى في حراب الجند أوصال جيوب
وقرى تلقى بها فيها طعاما للهييب

ويستمر الشاعر في تصوير المأساة فيلبس هذه المرة
الجرائم في الجزائر ثوب المأساة التي طبع التاريخ العربي
الحديث، فحوّل آفاق الوطن العربي إلى خيمة كبيرة
هي خيمة اللاجئ الفلسطيني، والخيمة في شعره رمز
للمأساة العربية، يقول:

وتمتدّ الجزائر خيمة كبرى
يمزّق أهل الرشاش فيها قرية قرية.
وسليمان العيسى الذي خصّ الثورة الجزائرية بعدة
دواوين يرى أنّ الثورة إبداع للألم، هذا الألم هو
الطريق الصحيح للمجد، يقول:
الدنا يبدعها من يبدعون الألما
يخلقون القمما
يزرعون الأنجما
ويموتون على الجوع نسورا

وله قصيدة أخرى يرى فيها أيضا أنّ الثورة ترتكز
على الألم من أجل السعادة:

جرحنا ذلك الذي ينزف نارا وكفاحا
واحد لم ينقسم إلاّ ميادين وساحا
في عروقي انت في آهاتنا في كلّ خاطر
يا دويّ الصيحة الحمراء في قلبي الجزائر
لا تعاتبني تمنيت لو أني جرح نائر
طلقة حمراء لحن في فم الثوار هادر
في الهضاب الشّم حيث الموت عرس وبشائر
والثورة الجزائرية تعيد كتابة التاريخ العربي، فتعود
بفضلها الأمة العربية كما بعثت من قبل، نبيا وقرآنا:
لا تسلني.. جزائري تخضّب

التاريخ عطرا بحفنة من تراب
إنّها أمّتي تعود إلى الساح
نبيا وآية من كتاب

ثانيا: أحداث الثورة الجزائرية من منظور الشاعر.
شغلت الثورة الجزائرية مساحة واسعة في كيان

وحياة الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى، فقد آمن أنّ الثروة الجزائرية رصيد ثوري وتاريخي، ومكسب رائد لموكب العرب والمسلمين الزاحف نحو التحرر والاستقلال والتوحد، فهو المساند لها أثناء ساعاتها العصبية، والعالم بأبعادها، وأهمية انتصاراتها، حيث جعل شعره الثوري الناطق بالبطولة والفداء، فواكب أحداثها الكبرى، متغنيا بمشروعية نضالها بأروع القصائد، وأميز الكلمات، يقول:

روعة الجرح فوق ما يحمل

اللفظ ويقوى عليه إعصار

فوق شعري وفوق معجزة

الألحان هذا الذي تخطّ الجزائر

يعدّ شعر العيسى من الصور التاريخية والأدبية التي سطرته ثورة نوفمبر لأنّ قصائده كانت تواكب أحداث الثورة، لذلك كانت في أغلبها دفعا حماسيا ومعنوبا، سيما أنّه يصف الدور الذي يؤدّيه الشعر على مستوى الكفاح نفسه، يقول: «الشعر قَمّة الكفاح، وكفاح الذوق البشري الذي زحزح آلاف

الصخور اقتلع ملايين الأشواك، وصار غبار الطريق». ومن هذا المنطلق تغنى بملاحم طويلة لمعارك الثورة الجزائرية وأبطالها، باعتبار ثورة الجزائر دعامة رئيسة، وركيزة مهمّة ترتفع عليها أعباء هذه الأمة، يقول:

أخشى على بلد الضياء الدامي
الليل حول جزائري مخلبه وسيم
فجر الدم المسفوح لا تعميه عاتية الرياح
ومن أهمّ قصائد الشاعر رائيته الشهيرة «ملحمة الجزائر» التي بثّ فيها كثيرا من آلام الجزائر أثناء ثورتها وبطولات أبنائها والفداء، يقول:
في عروقي أنتِ في آهاتنا في كلّ خاطر
يا دويّ الصيحة الحمراء في قلب الجزائر
لا تعاتبني تمنّيت لو أنّي جرح نائر

ديوانه: «صلاة لأرض الثورة».

يعدّ ديوان «صلاة لأرض الثورة». من أهمّ أعمال الشاعر التي أهداها للثورة الجزائرية، وقد نيفت عن عشرين نشيدا مهدي للكاتب والشاعر الجزائري

مالك حدّاد حين زار دمشق، واستقبله العيسى
قائلا:

البرّس المشدود فوقك منذ عقبة
منذ طارق
يصل الدّم الباقي
آمنت بالأوراس بالثورة.

وهذه المجموعة صورت جانبا من مرحلة مريرة
تخطّتها الجزائر، فكان فيها رساما وشاعرا مصوّرا
المأساة العربية بارزة، بخاصّة حين سمع أنّ الاستيطان
الاستعماري بالجزائر دمّر مئات القرى، وتحوّل أهلها
إلى قوافل للرحيل:

خيام ولاجنون
خيام حيثما يّممت
وتمتدّ الجزائر في دمي خيمة كبرى
فهو يحاول أن يولّد في أحاسيسنا الأضداد محاولا
أن يترك لنا ذلك الشعور الذي لا بدّ منه، فيخاطب
مالك حدّاد:

يا نابضا في كلّ أفق نائر قلبي معك
ما زالت الرايات تخفق والجزائر صامدة
ما زالت تطعم ثورتنا القيود الباردة.

إنّ شعر سليمان العيسى عن ثورة الجزائر مليء
بالصور الرمزية الإيحائية، فثورة الجزائر هي المل الذي
يهزّ القبر في أعماقه - الذي يتشكّل جراء خيبة
الأمل في تجربة الوحدة التي كان يعاني منها- ويعلن
له: «أنك لازلت حيل بأملك الكبير، الذي تسنده
ثورة نوفمبر»:

أملا يهزّ الصخر فينا
ليقول لي ما زلت حيا

وفي قصيدة أخرى نظمها أيضا قبل أشهر من
انفصام عرى الجمهورية العربية المتحدة، يعتبر فيها
الشاعر أنّ ثورة الجزائر فتحت أمام نفسه ووجدانه
ألف نافذة لربيع عربي مزهر، لأجمل لحن (سال على
أوتار عازف):

وتفتح ألف نافذة وشباك
لنيسان ونوّار

لأعذب نغمة سالت على أوتار قيتار
لقد كانت تمثّل ثورة الجزائر عند الشاعر مكن
الوحدة، وسرّ الوجود العربي، يقول:
وليقيموا ما يشاؤون على الرمل الحدود
يصل الأجيال يمحو البعد يجتاح السدود
ثائر يهوي على أرض البطولات شهيد
وثبة تومئ للأجيال أنا سنعود
شعلا تهدي، ونبلا جهلت فيه الحدود
أحدود تلك أم وهم وأحلام ترود
إنها رمل وطين ليس في أرضي حدود
عاش فيها مجرم واستأسدت فيها القروود
أيها الفاجر مهلا، بعثنا بعثا جديد
جثث الثوار في الأطلس للأرض حدود
وفي إعجابه بالثوار والشهداء الذين ضحوا بالغالي
والنفيس في إعلاء كلمة الله واسترداد الحرية من أيدي
الطغاة يقول:

آمنتُ أن شعاع الفجر منتصر
آمنتُ أنّ الملايين التي سقطت

لا ضائع دمها الهادي ولا هدرُ
ستنهل الجبال السمر
تشرق آيه آيه
ويقرأني غدا أطفال ثورتنا وأطفالك
وتضحك ملء صدر النصر إيماني وآمالك

بطولات الجزائر من منظور الشاعر:

يغني الشاعر بطولات الجزائر، فيعلن أنّ جذوره
مستمدة من أمجاد الأمير عبد القادر الجزائري، وبأنّ
خمر سعادته معصورة من ذكرى زيغود يوسف:

بعبد القادر اغتصبت جذوري

ومن زيغود يوسف معصور شرابي

وله قصيدة يقلّ مثلها أنشدها في حقّ
هذا الشهيد الكبير، إذ يعدّ تاريخ ميلاد
الثورة العربية التي تعتبر أمل العرب هو تشرين
الثاني (نوفمبر) 1954م، فهو يقول بأنّ تاريخ
ميلاده كعربيّ حر عزيز هو تاريخ ميلاد الثورة
الجزائرية:

يا سفح يوسف، يا خضيب كمينه
يا روعة الأجداد في الأحفاد
يا إرث موسى في النسور وعقبة
والبحر حولك زورق بن زياد
يا شمعة التاريخ في أوراسنا
يا نبع ملحمتي بثغر الحادي
أتموت؟ تاريخ الرجولة فرية
كبرى إذا وضأة الأمجاد
أتموت؟ كلّ حنية بجزائري
ميلاد شعب رائع...
ميلادي...

وله عدّة قصائد تمجّد أماكن بعينها في الجزائر، لا سيما تغنيّه بالأوراس، التي تظلّ شاهدة على معقل الثوار والمجاهدين، يقول:

تحدّاهم صخورك يا أوراس
أن يوقفوا زئير القضاء
موجة تحمل العروبة فيها
من جديد مقدّسات السماء

إنّ ما خلفه الشعراء السوريون من قصائد تعدّ بحق لبنة تضاف إلى تاريخ صرح الثورة الجزائرية المجيدة، وتساهم مساهمة بالغة الأهميّة في تسجيل تاريخ ثورتنا العظيمة، والذي زاد من ثقل هذه الأهميّة هو تلك القصائد الجزائريات التي نظمها الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى، إذ ينذر وجودها بهذه الشمولية، والتوزيع الزمني. حيث تتبّع الشاعر بدقة ثورة الجزائر، وتعقبها، فكان له سجل حافل بالشعر والكتابة، عبّر عن انتصاراتها، ومجّد بطولات أبنائها، وأعجب بتضحية أبطالها ومبادئها، وكان طوال حياته يحلم بوحدة عربية شاملة، فرأى حلمه محققا في ثورتنا.

من روائع العيسى ملحمة الجزائر

روعة الجرح فوق ما يحمل
اللفظ، ويقوى عليه إعصارُ شاعر
أأغني هديرها، والسموات
صلاةً لجرحها، ومجامز؟
أناجي ثوارها، ودوي
النار أبياتهم، وعصفُ المخاطر؟
بين جنبي عبقةً من ثراها
ونداءً - أتي تَلَقَّتْ - صاهر
ما عساني أقول؟ والشاعرُ
الرشاشُ، والمدفع الخطيبُ الهادر
والضحايا الممزقون، وشعبُ
صامدٌ كالإله يَلوي المقادر
فوق شعري، وفوق مُعجزة
الأحان هذا الذي تخطُّ الجزائر

يا بلادي، يا قصة الألم الجبار
لم يَحْن رأسه للمجازر
ما عساني أقول؟ والنار لم
تلفح جبيني هناك، والثأر دائر
ودويّ الرشاش لم يَحترق
سمعي، ويسكب، في جانحيّ المشاعر
لم أذق نشوة الكمين يدوي
فإذا السفح للصوص مقابر
لم أعصّب جرحي، وكفّي على
النار، وعيناي في العدو الغادر
ألف عذر، يا ساحة المجد،
يا أرضي التي لم أضّمّها، يا جزائر
ألف عذر، إذا غمستُ جناحي
من بعيدٍ بماحقات الزماجر
بيديك المصير، فاقتلعي الليل،
وصوغيه دافقَ النور، باهر
لك في الشرق جانحٌ عربيّ
يتمطّي عن معجزات البشائر

لكِ هذا الجدار ينسحقُ
الغدُرُ على سفحه وتُمَلَى المصائر
رفعته الأكبادُ في مصرَ والشام
مضيئاً، كطلعة الله، ظافرُ
وحدةً، مثلما أشرأبَ بقلب
الموج طود نائي الشماريخ قاهر
وحدةً .. ديدبائها لهبُ الشعب
ورُئانها إلى الشطِّ ناصرُ

...

إنه مولد الضحى
فتخطّبي به القَدْرُ
قصفةً بعد قصفةٍ
وسلي موكبَ الظَّفْرُ
عن حكايات غاصبٍ
فوق كثبانكِ انتحر
ما فرنسا و«مجدها»
مجدها الكالِخ الصوْرُ

غير ذكرى غداً على
شطّ «وهران» أو خبر

...

يا قلاع الطغاة، قد نفضَ
العملاق عن جفنه عصور الضبابِ
والتقينا من غير وعدٍ على الثأر،
شهابٌ يضيء درب شهاب
سفحتنا الصحراء فجراً سخياً
بالبطولاتِ، بالعتاقِ العرابِ
أمةً ظنّها الغزاةً اضمحلّت
وتلاشت وراء ألف حجابِ
في افتزار الربيع لا يسأل السرُّ
شموخاً عن حاقد الأعشابِ
والعتيقُ الأصيل لا يخطئ الشوطَ !
وضجّي يا حانقات الذئابِ !
المروءات قد تنام عن الخلد،
وتكبو في رحلة الأحقابِ

ويعيث اللصوص في حرم التا
ريخ .. ظفرٌ دامٍ وشرعُهُ غابِ
فجأه، يستفيق في جانب
البيد نبيّ، وسورةٌ من كتاب
ويدوي على الرمال نفيّر
عربيّ، فالأرضُ رجُعُ جوابِ
وإذا الدهر من جديدٍ نشيدُ
صاغه أسمرٌ حلُم ربابِ

...

مَنْ سقى الرملَ في الجزائرِ رَعشاً
وحياةً تمور مَورَ العبابِ !
من أحال الجبال زأراً براكينَ،
وجدرانَ معقلٍ غلابِ
يتحدّى قوى الجريمة في الأرض،
فتبدو كسيحة الأنيابِ
إنها أمّتي .. تَشُدُّ جناحيها،
فوجهُ التاريخ فجرُ انقلابِ

حادثُ الجليلِ عودُهُ الفارسِ
الأسمرِ حَلَّ الميدانَ بعد الغيابِ
لا تسلني عنه، تَلَقَّتْ تَرَ
الأنجمِ وشياً على جناحِ عُقابِ
لا تسلني .. طلائعي تَمَلَأُ
الأفق، كأنَّ السماءَ بعضُ الرحابِ
لا تسلني .. جزائري تخضب
التاريخِ عطراً بحفنةٍ من ترابِ
إنها أمتي .. تعود إلى الساحِ
نبيّاً، وآيةً من كتابِ

...

معكم في صراكم
يا صقورَ الجزائرِ
معكم كلَّ خافقِ
ولكم كل ناظرِ
معكم، والضحى لنا
عربي الغدائرِ

لي بوهران سكرة
يوم أروي محاجري
من ترابي محرراً
عابقاً بالمفاخر

...

أين مني عينان، خلف جدار
السجن، مكحولتان بالكبرياء !
وجبين، وألف نجمة صبح
لألآت فوق جرحه الوضّاء
وفمّ، ويعجز العذاب ويعيا
فيه عن محو بسمّة زهراء
بسمّة .. لخصت بها شرف
التاريخ صديقة من الصحراء
يلعق الوحش جرحها، فتردّ
الطرف كبيراً في صامت من إباء
وهي مذهولة : اتبلع يوماً
مثل هذا نذالة الأحياء !

أين مني جميلة؟ تزارُ السا
حاثٌ من صمتها بألفِ حُداءٍ
أي سرٌّ في الصمت يُرسلُهُ
الأبطالُ ناراً، وصاعقاتِ فداءٍ!
أي سرٌّ هزّت به الشفقة
السمراء قلب الدنيا بغير نداء!
أتراها في السجن قديسةُ الصح
راء تطوي جراحها في حياء!
عظمتُ صيحة الفداء، وعزّت
أن تُوارى في دامسِ الظلماءِ
هي فينا سحرُ القصيد إذا
غنى، ووهجُ الناريةِ البتراءِ
هي في غضبة الملايين تهوي
فوق جلادها سياطُ ازدراءِ
في بلادي، في الصين، في شفتي
راعٍ يغني على الذرى الخضراء
وهمَ الجرمون، لن يطفئوا
الشمس بارهاب غيمةٍ سوداءِ

تتحداهم جميلةً بالصمتِ
رهيباً، والبسمة الزهراءِ
تتحداهمُ صخورك يا (أوراس)
أن يوقفوا زئيرَ القضاءِ
موجةً .. تحملُ العروبة فيها
من جديدٍ مقدّساتِ السماءِ

من إصدارات
المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر
جميع الحقوق محفوظة
سبتمبر 2013

تصقّقُ آمالاً إذا كنت صابراً

وتصبحُ أنت الصّبر إن كنت شاعراً

تسافرُ في التاريخ حتّى إذا اختصر

بك العمر، يبقر منك نثيهُ مُسافراً

تغرّمُ في جالِ الموائد بلبلًا

وتجتازُ آفاق الملاحم كائناً

وبأنتيك سلكاً الكلام مُبايعاً

لكي تعتلي كلّ النجوم مخابراً

من مرثية العيسى

للشاعر الجزائري إبراهيم صديقي

